طريق الحوار

(التجربة اللبنانية)

علي الحسن(*)

الحمدُ للهِ، ربِّ العالمينَ، وبه نستعينُ، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدِ المرسلينَ. طريق الحوار (التجربة اللبنانية)

فضيلة الإمام الأكبر أ.د. أحمد الطيب شيخِ الأزهرِ الشريف، رئيس مجلسِ حكماءِ المسلمينَ.

السلامُ عليكم

أيُّها الإخوةُ أصحابَ السعادةِ والمعالي:

في لبنانَ ونحنُ نستقبلُ عهدًا جديدًا، نودُّ أن نؤكِّدَ أن تكونَ المصلحةُ العليا هي المحافظةَ على لبنانَ، وهذا ما تُبيِّنه لنا الأيامُ للحكومةِ الجديدةِ، وإن شاءَ اللهُ يستمرُّ لبنانُ كما كانَ في أيَّامِه الماضيةِ.

وفي عالَمِنا اليومَ فتنٌ بشريَّةٌ تحرِّكُها نفوسٌ هائمةٌ، وغرائزُ فالتةٌ، تتفنَّنُ في التعبيرِ عن أفكارِها ورغَباتِها، تستعملُ الدِّينَ كمِروَحةٍ لإثباتِ خُطَّتِها.

فالنَّفسُ البشريَّةُ أمَّارةٌ بالسوءِ، بمعنى أنَّ لها غرائزَها، وأهدافُها الأساسيَّةُ حبُّ البقاءِ، والانتصارُ لأفكارِها، دونَ أن تأخذَ بعينِ الاعتبارِ أنَّ الدِّينَ ليسَ تعصُّبًا، بل هو لسعادةِ الإنسانِ، سِيَّانَ ما كان معتقدُه، هؤلاءِ يتخذون من الدينِ سلاحًا فتاكًا؛ تطرُّفًا أو تعصُّبًا أو إرهابًا، فنحن أردنا أن نجسِّدَ التعاليمَ الإسلاميَّةَ

الأخلاقيَّةَ والاجتماعيَّةَ في صورة رجلٍ نرىٰ مؤمنًا يمشي في الأرضِ الهُوينىٰ، يحبُّ لغيره ما يحبُّ لنفسِه، ينهىٰ عن المنكرِ، يُعطي الحقَّ لأصحابِه، لا يفسدُ في الأرضِ.

إنَّه الانفتاحُ علىٰ الآخَرِ، والأُخوَّةُ الشاملةُ لا تُفرِّقُ بينَ اللونِ والجنسِ والعِرقِ والدِّينِ، الطائفيَّةُ يا سادتي هي أساسًا سياسةٌ، وليست دِينًا؛ لأنَّ رسالةَ الدينِ واحدةٌ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ *إِنَّا خَلَقْنَاكُم* مِنْ ذَكَرٍ *وَأُنثَىٰ* وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: ١٣].

تعالوا أيُّها السَّادةُ نجعلُ الدين إنسانية، ونجعل الإنسانية دينًا، فالإيمان هو الذي يحدِّدُ معالِمَ شخصيتِنا وسلوكِنا، بحيثُ يكونُ السلامُ محتومًا بين المسلمينَ والمسيحيِّينَ، هكذا نعيشُ الإسلامَ والمسيحيةَ في لبنانَ.

ورغمَ كلِّ الشوائبِ التي مررنا بها، فهي تهدُفُ بالنتيجةِ إلىٰ الحقِّ وسعادةِ الإنسانِ.

ويقولُ الإمامُ موسىٰ الصدر، إمامُ الحقِّ وإمامُ المعارضةِ في لبنانَ: إذا سقطت تجرِبةُ لبنان، أظلمتِ الإنسانيةُ، ويقولُ: إنَّ الأديانَ كانت واحدةً حين كانت لخدمةِ الإنسانيةِ بهدفٍ واحدٍ، ثم اختلفت عندما اتجهت إلىٰ خدمةِ أنفسِها، كانت واحدةً تهدُفُ إلىٰ حربٍ مع آلهةِ الأرضِ والطُّغاةِ، وغدًا إذا انتصرنا بعونِ اللهِ، وانتصرَ معنا المستضعفونَ، سنرىٰ الطُّغاةَ يُغيِّرون النفوسَ، ويحاولون أن يحكموا باسمِ الأديانِ، تحدِّيًا وتجنِّيًا ونفاقًا، ويدَّعون أنَّهم يحملون سيفَ الدينِ.

أيامٌ سوداءُ مرَّت على تاريخِ لبنانَ في العَقدينِ الأخيرين وما قبلهما، عندما اتخذت من الأديانِ والطوائفِ سلاحًا؛ لإثارةِ الفتنِ والحروبِ الَّتي ذاقَ منها الوطنُ الأمرَّينِ، تكلَّمَ السلاحُ وذاعَ منطقُ القوةِ لسنواتٍ عديدةٍ، وكيفَ يكونُ هناكَ حوارُ أديانٍ، والمقاتلونَ يستغلونَ دياناتِهم وطوائفَهم؟ وسؤالٌ يطرحُ نفسَه: لماذا كلُّ ما كانَ؟ وإلى أينَ نحن وقفنا في هذا الوقتِ؟

أي حوارٍ -أيُّها الإخوةُ- والرَّصاصُ يُدوِّي، والنارُ تَشُبُّ في أنحاءِ الوطنِ، والعدوُّ ليس الدينَ، وليس إيمانًا أو كفرًا بالدينِ، بل كان الدينُ السلاحَ في الدولِ الإقليميةِ والدوليةِ، يستعملونه حين يريدونَ، ورغمَ كلِّ ذلكَ وما بينَ دَورةٍ قتاليةٍ وأخرى كان الحوارُ يتحركُ، ولكن خجولًا خجولًا.

مرَّ لبنانُ باحتلالِ الأتراكِ، علقوا المشانقَ، وفعلوا ما فعلوا، ثم جاءَ الفرَنسيُّون بعدهم بمحاربةِ الدينِ والوطنيةِ، وأكملوا الطريقَ طويلًا، وبعدَ دماءٍ ودماءٍ، استقلَّ لبنانُ عام ١٩٤٣م، وفي مطلعِ الاستقلالِ، كانت المحاولةُ الأولى لبدايةِ التخلصِ من الطائفيةِ، ووجودِ الميثاقِ الوطنيِّ ١٩٤٣، وكانَ نظامًا مذهبيًّا، لكنه ربما يناسبُ تلكَ الأوقاتِ.

وأتى ميثاقُ الطائفِ عام ١٩٨٩ وبعدَ حروبٍ متكررةٍ، خرجَ الميثاقُ الوطنيُّ، وهو معاهدةُ الطائفِ التي أنهت الحروبَ المحليةَ والمذهبيةَ أيضًا، ولكنها لم تستطعْ إلغاءَ الطائفيَّةِ المذهبيةِ كما يريدُ أبناء لبنان، وبقيَ توزيعُ الحقائبِ وَفقًا للطائفةِ والمذهبِ.

وفي لبنانَ كما في الشقيقةِ الكبرىٰ مصرَ، هناك الكثيرُ من التجارِبِ الحواريةِ، كما أن المؤسساتِ الفاعلةَ في النقاشِ، ذكرت الكلماتِ التي لا يجوزُ أن تبقىٰ شعارًا، وهذا لا يكفي لحلِّ مشاكلنا بل يجبُ أن يكونَ البعدُ الأساسيُّ للحلِّ.

يقولُ الإمامُ الصدرُ: إنَّ مَنْ يظنُّ بأنَّ وجودَ الطوائفِ المختلفةِ في لبنانَ وتنظيمَ شئونِ هذه الطوائف، من أسبابِ ضعفِ الإحساسِ الوطنيِّ القوميِّ؛ فهو مخطئٌ، فالطوائفُ المختلفةُ نوافذُ حضاريةٌ علىٰ البشرِ في هذا العصرِ، يجبُ أن تكونَ علىٰ استعدادٍ كاملٍ للتلاقي مع جميعِ الطوائفِ لخدمةِ الدينِ والأخلاقِ والحفاظِ علىٰ هذا الوطنِ، فثقافةُ الحوارِ نقولُها بجرأةٍ وشجاعةٍ هي خدمةُ الدينِ والوطنِ.

في لبنانَ بالإضافةِ إلىٰ اللجانِ والهيئاتِ الحواريةِ، كان الدورُ الأكبرُ للإمامِ الصدرِ، الذي كرَّسَ وقتَه وموقعَه -وربما حياتَه- من أجلِ إعلاءِ قيمةِ الحوارِ، وكذلكَ لا ننسىٰ دَورَ الندوةِ اللبنانيةِ والكنائسِ والأديرةِ والجوامعِ، أضفْ إلىٰ ذلكَ اللجنةَ الوطنيةَ للحوارِ الإسلاميِّ المسيحيِّ، التي لا تزالُ تحملُ هذا المشعلَ، والذي لي الشرفُ أن أكونَ ممثلًا للطرفِ الشيعيِّ فيها.

ولا يمكنُ أن أَغفُلَ أن أتحدثَ عن الجرثومةِ التي سيطرت علىٰ مجتمعاتِنا، ألا وهي استخدامُ الطائفيةِ في كلِّ مناسبةٍ، فيتناحرون ويختلفون، ثم يدَّعون أو يقولون: إنَّه كان هناك توافقٌ وطنيٌّ أوصلَنا لانتخابِ الرئيسِ، إلىٰ أن صرَّحَ وزيرُ خارجيةِ إيرانَ بصراحةٍ كاملةٍ، بأنَّ التوافقَ علىٰ انتخابِ الرئيسِ هو توافقٌ بين إيرانَ والسعوديةِ، هكذا لأنَّنا لا نستطيعُ أن نحكمَ أنفسَنا، هذا لأنَّنا نعيشُ في جوٍّ

الحروبِ، وكلُّ دولِ الشرقِ الأوسطِ قد تقولُ ذلك، لكننا عشنا حياةً صعبةً، وظَلَلنا نناضلُ ونناضلُ، وسنظل نناضلُ من أجلِ الوصولِ لحالةِ التوافقِ والحوارِ.

ويقول سفيرِ البابا في لبنانَ: إن العَلاقاتِ المسيحيةَ الإسلاميَّةَ يجبُ أن تَعلَمَ أنه يتوقفُ عليها الوجودُ البشريُّ، أيِ ارتباطُ الناسِ باللهِّ وارتباطُ البشر مع الحياةِ والتاريخِ، وهو ما يجب على المسلمين والمسيحيين، إلى أشكالٍ من التعاونِ على الصعيدين النظري والعلمي، ويضيفُ هذا البحث المشترك، ليحتلَّ مكانةً متميزةً في لبنانَ، وقد لا نجدُ في الشرقِ الأوسطِ بلدًا يحظى بتلكَ الإمكانياتِ، ليكونَ الضميرَ المفكرَ للشرقِ الأوسطِ.

ويقول الإمامُ الصدرُ: «إنَّ المزرعةَ النموذجيةَ في لبنانَ يُمكِنُ أن تساعدَ على أن تقومَ بمَهمَّةِ الحوارِ، كما أنا واثقٌ من أنَّ التوافقَ في الرأيِ بينَ الأديانِ من أهمِّ مصادرِ الحركةِ الفكريةِ، وظهورِ المواهبِ اللبنانيةِ الذاتيةِ»، ويضيفُ: «إنَّ الإنسانَ جعلَ من الدِّينِ أو المذهبِ سببًا لخلافاتِه، فأثارَ فتنةً».

دعاء أوجهُه إلى وطني، لا لشخصٍ أو دولةٍ إقليميَّةٍ.

وفقكم اللهُ.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهَّ وبركاتُه.